مقدمة

تعريف الأصولية والإيڤانجليكية

الأصولى هو: إيڤانجليكى غاضب من شىء ما. يبدو التعريف بسيطًا، لكنه صحيح إلى حد معقول. وحتى «چيرى فالويل» قد تبنى هذا التعريف كوصف سريع للأصولية، وعادة ما يستشهد به الصحفيون. هناك تعبير أكثر دقة لهذه النقطة يقول: إن الأصولى الأمريكى هو الإيڤانجليكى (المقاتل ـ Militant) فى مواجهة علم اللاهوت الليبرالى فى الكنائس، أو ضد التغيرات فى القيم الثقافية والأعراف، مثل تلك المصاحبة لـ «الإنسانية العلمانية»، وفى أىٍّ من التعريفين، سواء المسهب أو المختصر، فالأصوليون هم نوع فرعى من الإيڤانجليكيين، (القتال ـ Militancy) جوهرى لديهم. ليس الأصوليون مجرد محافظين دينيين فحسب، ولكنهم محافظون على استعداد وإرادة لاتخاذ موقف وللقتال[1].

سيزداد إلى حد معقول وضوح هذا التعريف، إذا نحن علمنا بالضبط من هو الإيڤانجليكى. ومع ذلك، فقد أصبحت مهمتنا أكثر صعوبة؛ لأن الأصولية وكذلك الإيڤانجليكية، ليستا من المنظمات الدينية الواضحة التحديد، التى لها قائمة بالعضوية، ولكنْ كلٌّ منهما حركة دينية.

كل واحدة من هاتين الحركتين ـ على الرغم من تنظيمهما غير الرسمى ـ عبارة عن حزمة من المجموعات والأفراد القابلين للتحديد ولهم بعض التاريخ والآثار المشتركة. لذلك فقد نتحدث عن كل حركة فى مجملها، مثلما نقول عن الأصوليين

(١) على الرغم من أن تعبير (الأصولية) قد اخترع داخل أمريكا عام (١٩٢٠م)؛ لإطلاقه على المقاتلين من الإيڤانجليكيين، فقد أطلق فى الأعوام الحالية بالمماثلة على أى مقاتلين دينيين، مثل الحال مع «الأصولية» الإسلامية.

بأنهم مقاتلون. وفى الوقت نفسه يصدق الأمر على أن كلتا الحركتين إنما هى تحالف من حركات فرعية تتنوع فى بعض الأحيان حتى تختلف بطريقة مذهلة، وهى ليست دائمًا على اتفاق تام.

ينبع معظم هذا التنوع من درجة تعقيد الحركة الإيڤانجليكية، والتى ينبغى تناولها باختصار من أجل رؤية الصورة الكاملة. أصبح «الإيڤانجليكى» (من الكلمة اليونانية التى تعنى «الإنجيل») فى واقع الأمر هو الاسم البريطانى والأمريكى الشائع الذى يطلق على الحركات الإحيائية التى تتمدد وتنحسر بطول وعرض مناطق الحديث باللغة الإنجليزية، وفى مناطق أخرى، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. الإيمان بالخلاص الأبدى على يد المسيح من خلال موته على الصليب، يمثل المحور فى الإنجيل الإيڤانجليكى. وفى أمريكا، كان تمهيد طريق الإحيائيين يعود فى جزء منه إلى الميراث البيوريتانى (التطهرى) الخاص بـ «نيو إنجلاند»[1]. الوعظ المبسط بالكتاب المقدس بأسلوب حماسى حار، حدد ملاح ومعايير البروتستانتية الأمريكية. وحيث كانت البروتستانتية هى الدين فى الولايات المتحدة حتى منتصف القرن التاسع عشر، فقد صاغت الإيڤانجليكية أسلوب الدين الأمريكى.

وصل تأثير الإيڤانجليكية - بوصفها أسلوبًا فى الحياة، كما هى مجموعة من العقائد البروتستانتية المتعلقة بالكتاب المقدس والخلاص بالمسيح - إلى جميع الطوائف الأمريكية [البروتستانتية]. كان لهذه الطوائف مثل المنهجية، والمعمدانية، والمشيخية، والأبرشية، وحوارى المسيح، وغيرها، الكثير من التأثير فى صياغة الثقافة الأمريكية فى القرن التاسع عشر. وحوت معظم الحركات الإصلاحية، مثل حركة مناهضة العبودية، وحركة مناهضة الخمور، عنصرًا إيڤانجليكيًا فعّالاً. كان للإيڤانجليكيين صوت مسموع داخل المدارس والكليات الأمريكية، العام منها والخاص، وكانت لهم اليد الطولى فى إرساء المعايير الأخلاقية الأمريكية السائدة.

(١) سمى المهاجرون البريطانيون الأوائل - الذين كانوا من البيوريتانز، والذين كانوا يسمون «الحجاج» - الساحل الذى هبطوا عليه من أمريكا: نيوإنجلاند - المترجم.

كانت الإيڤانجليكية تحالفًا عريضًا فى غاية الاتساع ربط بين الكثير من المجموعات الفرعية، ووصل إلى ذروته فى القرن التاسع عشر على وجه الخصوص. فقد اتحد كل هؤلاء الناس من طوائف مختلفة مع بعضهم البعض، كما انضم إليهم مزيد من الأشخاص من دول أخرى، من فرط حماسهم للفوز بالعالم فى سبيل المسيح.

وحسب ما يأتى فى **الجزء الأول** من هذا الكتاب، فقد خلقت التغيرات الثقافية الهائلة فى الفترة من سبعينيات القرن التاسع عشر إلى عشرينيات القرن العشرين أزمة رئيسية داخل هذا التحالف الإيڤانجليكى.

من جانب، كان هناك اللاهوتيون الليبراليون الذين كانوا على استعداد من أجل الحفاظ على مصداقية أفضل للكتاب المقدس خلال العصر الحديث، لأن يدخلوا التعديل على بعض العقائد الإيڤانجليكية المحورية، مثل مصداقية الكتاب المقدس، أو الخلاص فقط من خلال تضحية المسيح المكفرة لخطيئة الإنسان. ومن جانب آخر، كان هناك المحافظون الذين استمروا فى الإيمان بالعقائد الإيڤانجليكية التقليدية الجوهرية. ظهر بحلول عام ١٩٢٠م جناح (مقاتل ـ Militant) من المحافظين واقترن باسم الأصولى. كان الأصوليون على استعداد لقتال اللاهوتيين الليبراليين فى الكنائس، ومحاربة التغيرات فى القيم والمعتقدات الحاكمة داخل الثقافة. ومع انتصاف ذلك العقد كانوا قد حازوا على تفوق وطنى كاسح. بعدها ببضع سنوات بدأ الدعم الذى تمتعوا به فى الخفوت، ثم اختفوا من الصدارة.

وحيث إن الأصولية كانت فى الأصل مجرد اسم أطلق على الجناح المحافظ المقاتل من التحالف الإيڤانجليكى؛ لذلك كانت الأصولية ـ كتحالف فى البداية ـ تماثل تقريبًا التحالف الإيڤانجليكى من حيث الاتساع وأيضًا التعقيد. لقد ضمت المحافظين المحاربين من بين المعمدانيين، والمشيخيين، والمنهجيين، وحواريى المسيح، والأسقفيين، وجماعات القداسة، والخمسينيين، والعديد من الطوائف الأخرى [البروتستانتية].

وعقب فقدان الأصولية لصدارتها الوطنية الأولى فى الثلاثينيات، بدأ لفظ «الأصولية» فى اتخاذ معنى أكثر محدودية. كان الكثير من الأصوليين يتخلى عن

طوائف التيار الرئيسى للپروتستانت، وبخاصة هؤلاء الذين كانوا ملتحقين بـ «مجلس الكنائس الفيدرالى المسكونى» (الوطنى فيما بعد). وحيث إن الأصوليين هم أنفسهم الذين اتخذوا هذه الخطوة، فقد بدأوا فى اعتبار الانفصال عن هذه الطوائف برهانًا واختبارًا للإيمان الحقيقى. حدث التغير فى الاسم تدريجيًا، ولكن بحلول ستينيات القرن العشرين، أصبح مصطلح «الأصوليون» يعنى الانفصاليين، ولم يعد يشمل الكثير من المحافظين داخل طوائف التيار الرئيسى.

بقى هؤلاء الأصوليون أيضًا منفصلين عن حركتين تتعلقان بالإحياء، وهما الحركة القدسية، والحركة الخمسينية. كان معظم الأصوليين فى ذلك الوقت من المعمدانيين وكانت غالبيتهم من الـ: Dispensationalists (المنادين بالتدبيرية)[1]. كان «المجلس المعمدانى الجنوبى» هو الاستثناء الرئيسى الذى يضم جماعة محافظة مقاتلة كبيرة، وكان غالبًا ما يطلق عليه «الأصولى» على الأقل من قبل خصومه.

تلا ذلك أن أصبحت الأصولية ذات دلالة ذاتية أكثر تحديدًا. رغم ذلك فأحيانًا ما يستخدم غير المنتمين للحركة هذا اللفظ للدلالة على أى محافظ مقاتل، فى حين أن هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالأصوليين هم فى الغالب من الانفصاليين المعمدانيين المنادين بالتدبيرية. المثال الواضح على ذلك هو «چيرى فالويل». وعلى الرغم من أنه أنشأ «الأغلبية الأخلاقية Moral Majority» على أنها ائتلاف وتحالف سياسى عريض فى الثمانينيات [من القرن العشرين]، فقد ظل «فالويل» معمدانيًا انفصاليًا فى كل ما يتعلق بالشئون الكنسية. وقد أبرزت الحادثة سيئة السمعة عام ١٩٨٧ التوترات بين دور «فالويل» بوصفه زعيمًا لتحالف واسع، وبين دوره الكنسى المحدود. عندما انفجرت الفضيحة حول «چيم وتامى بيكر» فى (PTL)، فقد وافق «فالويل» على التدخل والقيام بأعباء المدير بشكل مؤقت. كثرت التخمينات عن سبب قبوله لذلك، لكن ذلك لم يدم طويلاً. إحدى المشكلات التى

(١) التدبيرية: مصطلح لاهوتى انتشر فى أمريكا فى مطلع القرن العشرين، يعنى أن لله خطة فى تدبير شئون العالم، تصل نهايتها بالمجىء الثانى للمسيح ليحكم العالم من القدس. انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب ـ المترجم.

كانت أكثر توقعًا، هى أن وجود «فالويل» قد أثار بشكل هائل حفيظة بعض أعضاء (PTL)؛ لأن «چيم وتامى» كانا من الخمسينيين، فى حين كان «فالويل» معمدانيًا أصوليًا، قد أدان حركة الخمسينية داخل كنيسته.

الإيڤانجليكية اليوم

بينما أصبحت «الأصولية» ذات دلالة تحمل من الدقة القدر المعقول بخصوص صنف معين من البروتستانت المقاتلين، فيتوجب أن يكون من الواضح أن «الإيڤانجليكية» تطلق كوصف على تحالف ذى تنوع أكبر بكثير. وعلى سبيل التقريب، تضم الإيڤانجليكية فى الوقت الحالى أى مسيحى تقليدى بما يكفى لتأكيد المعتقدات الأساسية التى عليها الإجماع الإيڤانجليكى القديم فى القرن التاسع عشر. تشتمل العقائد الإيڤانجليكية الأساسية على:

١ - العقيدة الإصلاحية التى تجعل المرجعية العليا للكتاب المقدس[١].

٢ - حقيقة الشخصية التاريخية لفعل الخلاص الإلهى كما جاءت فى النص المقدس.

٣ - تأسس الخلاص من أجل الحياة الأبدية على الافتداء الذى قام به المسيح.

٤ - أهمية الإيڤانجليكية والإرساليات التبشيرية.

٥ - أهمية التحول الروحى فى الحياة[٢].

ومن خلال هذا الحصر، فإن الإيڤانجليكية تحوى تنويعات ملفتة: كنائس القداسة، والخمسينية، والمنهجيين التقليديين، جميع أفرع المعمدانية، والمشيخية، وكنائس السود من كل هذه الطوائف، والأصوليين، والجماعات التَقَويّة، والطوائف الإصلاحية واللوثرية الاعترافية، والقائلين بإعادة المعمودية

(١) فى الكاثوليكية، المرجعية العليا للبابا وكبار رجال الكنيسة ـ المترجم.

(٢) يستخدم اللوثريون لفظة «الإيڤانجليكى» بمعناها الألمانى الواسع والمقابل بالتقريب لـ «البروتستانتى»، أو حتى «المسيحى»، مثلما هو الحادث فى الكنيسة اللوثرية الإيڤانجليكية الكبرى المؤسسة عام ١٩٨٨م. بعض رجال اللاهوت من الأرثوذكسية الجديدة قد استخدموا أيضًا هذا اللفظ بمعناه الواسع الذى يعنى «المؤمن بالإنجيل». مع ذلك، فإن التعريف الوارد هنا يوضح الاستخدام الأنجلوأمريكى السائد.

(Anabaptists) مثل المينونيتيين، وكنائس المسيح، والمسيحيين، وبعض الأسقفيين، وهذا يحصر فقط بعض الأنواع الأكثر بروزًا.

فى العقود الحديثة أظهرت استطلاعات الرأى التى تختبر العقائد الإيڤانجليكية التقليدية أن ما يقارب الخمسين مليونًا من الأمريكيين ينطبق عليهم التعريف[1].

مع ذلك، لا تشير الإيڤانجليكية ببساطة إلى مجموعات عريضة من المسيحيين الذين صادف أنهم آمنوا بنفس العقائد؛ فهى قد تعنى أيضًا حركة وعى ذاتى ما بين الطوائف، تحظى بزعامات، وإصدارات، وأعراف، تحدد بها هوية أناس من العديد من الجماعات الفرعية. تشير الإيڤانجليكية بهذا المعنى - وقد شرحناها بالتفصيل فى الفصل الثانى - إلى ما يمكن تسميته الإيڤانجليكيين «حاملى البطاقة». وعلى النقيض من ذلك فإن الكثير من الأشخاص الآخرين الممكن تصنيفهم من الإيڤانجليكيين بالمعنى الواسع الذى يعنى التشارك فى المعتقدات الجوهرية، يجدون هويتهم الدينية بشكل شبه شامل داخل طوائفهم الخاصة. تنسحب صحة هذا الأمر على سبيل المثال على معظم البروتستانت السود، والكثير من المعمدانيين الجنوبيين، وكنائس المسيح، والمجموعات الطائفية العرقية مثل اللوثريين أو الإصلاحيين المينونيتيين، والكثير من الجماعات الأصغر. لذلك فإن البرهان على كونك من الإيڤانجليكيين حاملى البطاقة هو فى حيازتك لهوية متجاوزة بشدة للانتماء الطائفى، بغض النظر عن ماهية هذا الانتماء الطائفى للمرء.

خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، كان التعريف الأبسط ـ وبالتالى شديد الاتساع ـ للإيڤانجليكى بالمعنى الواسع هو «أى شخص يحب «بيلى جراهام». علاوة على ذلك، وبالمعنى الضيق لحاملى البطاقة، فإن معظم الذين يطلقون على أنفسهم إيڤانجليكيين خلال هذه الفترة كانوا منتمين إلى منظمات تمتلك بعض الروابط مع «جراهام». مع ذلك، ومثلما يؤكد الفصل الثانى من هذا الكتاب، فإن النمو المتنوع للإيڤانجليكية منذ الستينيات وبخاصة داخل أفرعها الكاريزماتية والخمسينية، قد وسع الحركة بجعلها تصنيفًا عريض الاتساع،

(١) انظر، على سبيل المثال، چيمس دافيسون هنتر «الإيڤانجليكية الأمريكية: الدين المحافظ ومأزق الحداثة» (نيوبرونزويك: مطابع جامعة روتجرز ١٩٨٣).

وذات تعريف ذاتى أكثر تحديداً. لا يمكن لزعيم أوحد أو مجموعة من المتحدثين أن يتكلموا باسم الحركة فى مجموعها.

وعلى الرغم من هذا التنوع، فإن معظم الذين يصنفون بوصفهم إيڤانجليكيين اليوم يجمعهم تاريخ مشترك إلى حد ملموس. هناك استثناءات من بعض المجموعات مثل معظم السود، وبعض المينونيتيين، وبعض جماعات المهاجرين الذين يملكون إرثهم المتفرد الخاص بهم. ورغم ذلك، فبالتأكيد يمكن زيادة فهمنا لمعظم المجموعات الجوهرية التى يمكن أن تطلق على نفسها الإيڤانجليكية، بالنظر إلى ماضيهم المشترك. لقد طالتهم جميعًا ـ بشكل ما أو بآخر ـ الأزمة الثقافية والدينية لقرن مضى، والتى هزت البروتستانتية الأمريكية من الأعماق. كما تأثروا جميعًا بالمثل بالشرخ الذى حدث بين التحالف الأصولى العريض المبكر وبين پروتستانتية التيار الرئيسى الليبرالية. لقد تشاركوا جميعهم إلى حد ما فى الخبرة الخاصة فى أن يصبحوا خارجين عن الثقافة المعاصرة الأكثر حداثة. وأصبحوا جميعهم جزءاً من عودة المد الإيڤانجليكى الحالى. وبينما تتشارك بعض المجموعات الفرعية فى هذه الخبرات بأسلوب مباشر أكثر من مجموعات أخرى، فهناك موضوعات رئيسية كثيرة بما يكفى لتأكيد أن فهمنا الحالى يمكن إضاءته عن طريق النظر إلى الماضى.

* * *